

برنامج أنوار كاشفة      سلسلة رمز وحقيقة      الحلقة السادسة عشرة

## الناموس والنعمة

مازلنا نتحدث عن سفر الخروج ، الذي هو ثاني أسفار الكتاب المقدس . لنكتشف المزيد من المعاني والرموز التي تشير إلى خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان ، والمخلص المسيح .

وكنا قد تأملنا في اللقاء السابق بحادثة عطش شعب العبرانيين قديما في البرية ، وكيف أمر الله النبي موسى بأن يضرب الصخرة لكي يشرب الشعب . وتبين لنا أن هذه الصخرة كانت تشير إلى المخلص المسيح . فالمسيح هو الصخرة التي ضربت على الصليب من أجلنا نحن البشر الخاطئة ، لكي ينال كل من يؤمن به الغفران والحياة الأبدية . والمسيح هو واهب الماء الحي الذي يروي نفوسنا العطشى .

لا نستطيع الحديث عن النبي موسى دون أن نتعرض إلى الناموس أو الشريعة التي أعطاه إياها الله . ولهذا لُقّب النبي موسى بكليم الله ، إذ تكلم معه الله من وراء السحابة . كان الناموس يحتوي على الوصايا العشر ، وكل الفرائض والشرائع والطقوس التي سنّها الله للعبرانيين قديما . ولعل السؤال الآن : لماذا أعطى الله الناموس ؟ وما هو دوره في مخطط الله لخلص الإنسان ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات لابد أن نلاحظ ، أن الناموس لم يكن بنظر الله مجرد قواعد أخلاقية للسلوك الفردي والاجتماعي ، أو مجرد طقوس يجب أن يمارسها الإنسان . بل قصد به الله عدة أغراض محددة .

إن الناموس أولا هو المرآة التي كشفت حقيقة الإنسان . فبعد أن سقط الإنسان في العصيان ، وانقطعت علاقته مع الله ، كان لابد من وسيلة تكشف له حقيقة نفسه الخاطئة ، ومدى عصيانه على الله . وكان الناموس هو الوسيلة التي استخدمها الله لتحقيق هذا الغرض . وهو ما عبّر عنه الرسول بولس أحد الرسل الأوائل بقوله : " لأن بالناموس معرفة الخطية . " ( الرسالة إلى رومية ٣:٢٠ ) ولقد شرح لنا الرسول بولس في مكان آخر ماذا قصد بقوله أن بالناموس معرفة الخطية إذ كتب قائلا : " لم أعرف الخطية إلا بالناموس . فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشتهه . " ( الرسالة إلى رومية ٧:٧ ) وهذا أمر منطقي ، فأنا لا أحاسب على أمر لا يعتبر مخالفة بالنسبة للقانون ، لكن لا بد لي أن أحاكم عندما أكرسه . وبما أنني عاجز عن السير بحسب وصايا

الناموس ، فإنني أكتشف حقيقة نفسي الخاطئة . إن الهدف من الناموس إذن هو أن يعرفنا كبشر أننا خطاة قاصرون عن إرضاء الله . فالناموس هو المرآة التي تكشف لنا حقيقة نفوسنا من الداخل ، وتعرفنا كم نحن خطاة .

وكشف الناموس ثانيا مدى عبودية الإنسان للخطية ، وعجزه بالتالي عن التحرر منها . فكم من مرة نحاول عبثا السير بموجب شريعة الله ، وتجنب فعل الشر ، فلا نحصد سوى الخيبة والمرارة . ويعود السبب أن الخطية تستعبدنا ، ولا نستطيع إلا تنفيذ أوامرها . ولهذا كتب الرسول بولس قائلا : " فإننا نعلم أن الناموس رُوحى وأما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية . " وتابع الرسول بولس فقال : " فإني أعلم أنه ليس ساكن في أي في جسدي شيء صالح . لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل . (الرسالة إلى رومية ٧:٤ و١٨-١٩) نعم إن الناموس هو شريعة روحية وضعها الله لكي أسلك بموجبها ، لكن طبيعتي فاسدة و مستعبدة للخطية لهذا فأنا أعمل ما تريده طبيعتي الفاسدة ، ولا أستطيع أن أسلك بحسب وصايا الله .

ولعل الأمر الخطير أن الناموس ثالثا ، يدين الإنسان . فيما أننا عبيد أئمة ، وعاجزون عن تجنب فعل الشر فلا بد أن ندان بحسب الناموس . لهذا نقرأ في الكتاب المقدس هذه الآيات : " لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه . " وأيضا : " لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرما في الكل." أي أن الناموس لا يرحم الإنسان لكنه يدينه.

ونتيجة لذلك فإن الناموس رابعا يؤدي إلى لعنة للإنسان ، بدل أن يكون بركة له . ولهذا نقرأ في كلمة الله : " لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة." والسبب لأن الإنسان لا يستطيع أن يسلك بموجب كل الناموس ، إذ تقول كلمة الله أيضا : "لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به. هذه هي بعض الأغراض التي قصدها الله من إعطائه الناموس للعبرانيين قديما ، من خلال النبي موسى . فإذا كانت هذه هي أغراض الناموس ، فهل مازلت صديقي تظن أن عملك بوصايا الله يُقربك من الله تعالى ؟

لعل السؤال الآن : ماذا يفعل الإنسان ؟ أولا توجد وسيلة أخرى يستطيع أن يلجأ إليها لكي يتحرر من عبودية الخطية ويرضي الله ؟ هنا تأتي نعمة الله ، نعمة الله التي تجلت من خلال المخلص المسيح . فإله أنعم علينا نحن البشر الخطاة بخلاصه العجيب عن طريق المخلص المسيح . ولكي نتحرر من عبودية الخطية، علينا أن نؤمن بهذا الخلاص المجيد . إن النعمة تعني : عطية أو هدية مجانية تُقدم لمن لا يستحقها ، ودون توقع أي مقابل . إن النعمة أساسها المحبة الكاملة ، دون أن تنتظر إلى وضع الشخص الذي تُقدم له هذه العطية . ولهذا نقول إن الله قدّم لنا نعمته أي عطية الخلاص من خلال المخلص المسيح . وهو على استعداد أن يهب عطية الغفران والحياة الأبدية لكل من يؤمن . لقد طالب الناموس الإنسان بالعمل لكي يحيا ، وليجد قبولا لدى الله . لكن النعمة أتت لكي تهب له قبول الله ورضاه مجانا ، وبدون أي مقابل. والسبب لأن الله قام بالعمل عوضا عن الإنسان المذنب . أجل

، لقد قام الله بالعمل كله ، عندما أرسل الفادي يسوع المسيح كلمته الأزلي ، لكي يقدم نفسه كفارة من أجل ذنوب البشرية جمعاء . وما على الإنسان سوى قبول هذه العطية بالإيمان بما عمله الله من أجله . ولهذا نقرأ في الكتاب المقدس هاتين الآيتين المقدستين : "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح." وأيضا : " لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله."

( الرسالة إلى رومية ٣:٢٤ ) و ( الرسالة إلى أفسس ٢:٨ )

إذن إن رضى الله علينا يكون على أساس عمل الله من خلال المخلص المسيح ، وعمله الكفاري على الصليب . وهذا العمل بالذات هو النعمة العطية التي يقدمها لنا الله . ولا تقف نعمة الله عند هذا الحد ، لأن الله يعمل بالروح القدس لكي يحرر الإنسان الذي يؤمن ، من عبودية الخطية ، ويخلقه خليفة روحية جديدة . الأمر الذي عجز عنه الناموس بالكلية . تقول كلمة الله في هذا المجال : " إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة ، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً." (٢ الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٥:١٧) إذن إن الله بالروح القدس يعطي الإنسان الذي يؤمن ، طبيعة روحية جديدة ، تستطيع أن تسلك في طريق الصلاح والخير ، وأن تبتعد عن أعمال الشر . الأمر الذي لم يكن متوفرا في الناموس . وعلى عكس ما رأينا في الناموس الذي يدين الإنسان ، فإن من نتائج نعمة الله أنها تزيل الدينونة . وبتعبير آخر ينجو الإنسان الذي يؤمن بالمخلص المسيح ، ينجو من دينونة الله ويحصل على هبة الحياة الأبدية . وها هو المسيح يصرح قائلا : " الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة . " (الإنجيل بحسب بشارة يوحنا ٥:٢٤) وبما أن الناموس كان لعنة للإنسان ، فإن النعمة تؤدي إلى بركة له . لأن المسيح بموته الكفاري على خشبة الصليب أخذ اللعنة عوضا عنا . ولهذا كتب الرسول بولس قائلا : " المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا . لأنه مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة . " (الرسالة إلى غلاطية ٣:١٣) .

صديقي على ضوء هذه الحقائق الهامة ما هو موقفك ؟ هل تصر على اتباع طريق الناموس طريق العبودية والموت والدينونة واللعنة ؟ أم تترك تأتي بالإيمان قابلاً نعمة الله المقدمة لك مجاناً من خلال المخلص المسيح ؟ وهكذا يغفر الله ذنوبك وتتجو من الدينونة وتحوز على الحياة الأبدية . فهل تقبل عطية الله العظمى لك ؟